

أهمّ النقاط: ما الذي يهمّ حقًا في النقاش حول المساواة الكتابية

بقلم أندرو بارتليت (Andrew Bartlett) (الترجمة الألمانية: Hans-Jörg Ronsdorf www.frauen-vergebt-uns.de)

النقاش العلمي واسع، وقد يكون مربكًا إلى حدّ بعيد، لكن فيه بعض النقاط المهمة والمحورية. ففي المقاطع الأساسية تحيد التفسيرات التكاملية عن الكتاب المقدس، أو تضيف إلى الكتاب المقدس شيئًا لا يرد فيه في الحقيقة.

مقدمة

إن النقاش بين التكامليين والمساواتيين غابة كثيفة ومستنقع من الآراء المتعارضة حول ما يعلمه الكتاب المقدس. («التكامليون» يتبنّون الرأي القائل إن الرجال والنساء متساوون أمام الله، لكن مشيئة الله أن يقود الرجال النساء، ولا سيما في الزواج وفي الكنيسة. و«المساواتيون» يتبنّون الرأي القائل إن الرجال والنساء على السواء يستطيعون تولّي مهامّ القيادة.)

ويشمل ذلك آراء متعارضة حول معاني الكلمات والمقاطع في الكتاب المقدس، وآراء متعارضة حول الخلفيات التاريخية والثقافية لما يقوله الكتاب المقدس.

إن المرجع الأساسي للتكامليين، *Recovering Biblical Manhood and Womanhood*، الذي حرّره جون بايبر (John Piper) وواين غرودم (Wayne Grudem)، يقع في 684 صفحة (الطبعة الورقية 2021). وعمل غرودم الضخم «*Evangelical Feminism and Biblical Truth*» يقع في 856 صفحة. وسلسلة الفيديو الحديثة لمايك وينغر (Mike Winger) حول موضوع «*Women in Ministry*» تبلغ مدّتها 43 ساعة.

وعلى الجانب المساواتي أو التبادلي من النقاش، يقع كتاب فيل باين (Phil Payne) «*Man and Woman, One in Christ*»، الذي يركّز حصراً على رسائل بولس، في أكثر من 500 صفحة. والطبعة الثالثة من «*Discovering Biblical Equality*»، التي حرّرها رون بيرس (Ron Pierce) وسينثيا وستفول (Cynthia Westfall) وكريستا ماكيرلاند (Christa McKirland)، تقع في 698 صفحة.

وفضلاً عن ذلك هناك كتب أخرى كثيرة على جانبي النقاش – يتراوح حجم معظمها بين 200 و400 صفحة. وكتابي الجديد، «*True Complementarity: The way of Christ for men and women*» (يصدر في أكتوبر/تشرين الأول 2026)، يناقش كل هذه الحجج المختلفة، ولذلك فهو تقريباً بحجم عمل غرودم الضخم.

إن كان لديكم الوقت والدعوة لدراسة كل هذه المادة وفرزها، فهذا حسن. ولكن إن لم يكن الأمر كذلك، فماذا بعد؟ وماذا عن المؤمن الذي يحمل في حياته من الأعباء ما يكاد يطيق احتماله؟ وماذا عن الراعي المشغول أصلاً أكثر من اللازم، والذي يكافح باستمرار ليوكب ما عليه؟

هدفني في هذا المقال هو أن أستخلص من النقاش كله النقاط المهمة والنقاط الأهمّ.

النقاط المهمة هي تلك التي تقود بأوضح صورة إلى موقف تبادلي – أي موقف قائم على التبادل والمساواة في المكانة. ثم سأنتقي من النقاط المهمة النقطتين الأهمّ. وهما نقطتان محوريّتان أعتقد أن كلّاً

منهما بمفردها تسحب البساط من تحت الموقف التكاملي. فلو كانت لدى المرء دقيقة واحدة ليشرح لماذا يرفض التبادليون الموقف التكاملي، لكانتا هاتين النقطتين اللتين ينبغي ذكرهما.

ورجائي أن يساعد هذا المقال الإخوة والأخوات التكاملين على الوصول إلى مكان أفضل، مكان تكون فيه السماء فوقه أرقّ زرقاً، والأرض تحته أبهى خضرةً.

سأقدم أولاً عرضاً إيجابياً للموقف التبادلي.

ثم سأشرح عشر نقاط جوهرية يحيد فيها الموقف التكاملي عما يقوله الكتاب المقدس. وسنتناولها إجمالاً بحسب ترتيب الأسفار القانونية – وإن لم يكن ذلك بدقة تامة، لأنه من المفيد التمييز بين الزواج والخدمة. وهذا سيشكل الجزء الأكبر من محتوانا.

وأخيراً سننتقي النقطتين الأهمّ. إحداهما تتعلّق باختيار بولس لكلماته في 1 تيموثاوس 2: 12. والأخرى تتعلّق بغياب أي توجيهات من الله للرجال بأن يفعلوا ما يفرضه التكاملون على الرجال. وفي نهاية المقال ستدركون لماذا هاتان هما النقطتان الأهمّ.

نظرة تبادلية

تنطلق النظرة التبادلية إلى الرجال والنساء من أرضية مشتركة يتّفق عليها العلماء التكاملون. وهذه الأرضية المشتركة هي رفض رأي الأغلبية التقليدي في النساء.

تاريخياً كانت النساء خاضعات للرجال. وكان السبب الرئيسي الذي يُساق لهذا الخضوع هو دونيّة النساء – فقد عُدّت النساء أدنى بطبيعتهن، ولذلك ينبغي أن يكنّ أدنى في المرتبة أيضاً. وبسبب دونيّةهن الطبيعية كان ينبغي أن يكنّ خاضعات للرجال في كل مجالات الحياة – في المجتمع والحياة العامة، وفي الأسرة وفي الكنيسة.

ولم يكن الحظّ من ذكاء النساء ومن قدراتهن الأخلاقية رأياً هامشياً شاذّاً. بل كان الرأي السائد. ونستطيع أن نستشهد بأسماء كبيرة في المسيحية، مثل إكليمندس الإسكندري (Clemens von Alexandria) وأوغسطينوس (Augustinus) وتوما الأكويني (Thomas von Aquin) ولوثر (Luther) وكالفن (Calvin)، بل حتى ويسلي (Wesley).

وللإيضاح إليكم اقتباساً مما كتبه اللاهوتي البيوريتاني البارز ريتشارد باكستر (Richard Baxter) سنة 1665. فهو ينصح الرجال بأن يفكّروا قبل الزواج في مقدار الصبر الذي سيحتاجون إليه بالنظر إلى طبيعة النساء:

«إن الضعف الطبيعي في الجنس الأنثوي يتطلّب منكم صبراً غير قليل. فباستثناء قلة من النساء الصورات ذوات الطبع الرجولي، فإن النساء عموماً ذوات خيال جامح، رقيقات، انفعاليات، نافذات الصبر، سريعات الانقياد إلى الغضب أو الغيرة أو السخط؛ وهنّ فوق ذلك ضعيفات العقل، ولذلك عاجزات عن إصلاح أنفسهن. إنهن في منزلة بين الرجل والطفل: قلة منهن فيهن من الرجل أكثر، وكثيرات فيهن من الطفل أكثر؛ لكن معظمهن في حالة وسطى فحسب.» (Baxter, A Christian Directory, الجزء 2: Christian Economics، الفصل 1).

هذه النظرة إلى النساء ليست متطرّفة. بل هي بالأحرى القاعدة.

والعلماء التبادليون والتكامليون على السواء يرفضون هذه النظرة التقليدية عن حقّ. فهي ليست مستمدّة من كلمة الله، بل من الفلسفة والثقافة البشريتين.

وفي تاريخ الكنيسة كانت هناك أصوات مرموقة خالفت رأي الأغلبية. فمثلاً أكّد باسيليوس الكبير (Basilius der Große) في القرن الرابع بقوة أن النساء بطبيعتهن مساويات للرجال أخلاقياً وفكرياً (باسيليوس، **في أصل الإنسان**، العظة 1). لكن رأي الأغلبية القائل إن النساء أدنى من الرجال بطبيعتهن ظلّ راسخاً بعناد شديد.

وبعد قرون كثيرة من النقاش، ولا سيما من القرن السابع عشر إلى القرن العشرين، كان رأي الأغلبية في الكنيسة قد تغيّر أخيراً في أواخر ثمانينيات القرن العشرين. فقد اتّجه إلى الاعتراف بالمساواة الحقيقية بين طبيعة المرأة وطبيعة الرجل – أخلاقياً وفكرياً –، كما يعبر عنها الكتاب المقدس. إن الرب يسوع لم يكفّ عن تطهير كنيسته.

التكوين

أساس النظرة المصحّحة إلى النساء هو التكوين 1: 26-28، حيث خُلِق الرجال والنساء على السواء على صورة الله بوصفهم شركاء في التسلّط على خليفة الله.

غير أن المساواة بوصفهم أشخاصاً بشريين كاملين على صورة الله لا تعني أن الرجال والنساء **متماثلون**. فقد خلقنا الله ذكراً وأنثى. ولذلك فالرجال والنساء مختلفون. إنهم يكمل بعضهم بعضاً حقاً.

وبسبب الفوارق بين الرجال والنساء تحديداً أستعمل مصطلح «تبادلي» بدلاً من مصطلح «مساواتي». فللأسف يُسيء بعض الناس فهم مصطلح «مساواتي» على أنه ادّعاء خاطئ بأن الرجال والنساء متماثلون. نحتاج في هذا إلى منظور الكتاب المقدس:

- كون الإنسان إنساناً على صورة الله هو الأساس الأول؛ أما كونه رجلاً أو امرأة فهمم، لكنه ثانوي.

لنتذكّر أن الله خلق الحيوانات أيضاً ذكوراً وإناثاً. لكن الحيوانات لم تُخلق على صورة الله. فصورة الله ليست في اختلافنا الجنسي، بل في كوننا بشراً.

بعد أن وُصف الرجال والنساء في التكوين 1: 28 بأنهم متسلّطون معاً – أين يُذكر موضوع «التسلّط» بعد ذلك؟ في التكوين 3: 16، حيث ضلّ البشر وعصوا الله. يحذّر الله المرأة من أن نتيجة العصيان ستكون سيادة الرجل («وهو يسود عليك»).

ومن حقائق الحياة أن الرجال يملكون قوة عضلية أكبر من النساء، وأن الرجال لا يلدون أطفالاً. فحين يختار البشر أن يعصوا الله ويضعوا أنفسهم في المقام الأول، يؤدّي ذلك في العادة إلى أن يسود الرجال على النساء. هذا هو التكوين 3.

لكن خطة الله الأصلية في التكوين 1 لم تكن سيادة الذكور (الرجال على النساء)، بل السيادة المشتركة (الرجال والنساء على الخليقة).

العهد القديم عموماً

يشهد العهد القديم بأن النساء، حيثما يعمل روح الله، مدعوّات إلى تولّي مهام قيادية.

ونستطيع أن نفكر في هذا السياق في مريم (الخروج 15؛ العدد 12؛ 1 أخبار الأيام 6: 3؛ ميخا 6: 4)، وفي خلدة (2 الملوك 22؛ 2 أخبار الأيام 34)، ولا سيما في دبورة (القضاة 4-5).

ففي العهد القديم، قبل عصر الملوك، لا يوجد إلا ثلاثة قادة أقامهم الله جمعوا في أشخاصهم وظائف القائد الأعلى للشعب، والنبى، والقاضى الأعلى، والقائد العام: موسى وصموئيل ودبورة.

إن الله لا يعارض أن تتولّى النساء مواقع قيادية. لأن النساء، مثل الرجال، مخلوقات على صورة الله.

يسوع

في الثقافة اليهودية في القرن الأول كانت النساء – كما في أماكن أخرى – يُعتبرن أدنى من الرجال أخلاقياً وفكرياً. لكن يسوع لم يعامل النساء على أنهن بشر من الدرجة الثانية. بل قبلهن تلميذات كاملات إلى جانب الرجال.

في الأناجيل يعلم يسوع تلاميذه كيف ينبغي أن يعيشوا. ولا يميّز في تعليمه بين أسلوب حياة الرجال وأسلوب حياة النساء.

ولكن كيف نفسّر أنه دعا اثني عشر رسولاً – كلهم رجال؟

كان ذلك أسلوباً مرتبطاً بزمّنه. فقد كان رمزاً يذكّر بالآباء الاثني عشر. ففي زمن يسوع لم تعد هناك في إسرائيل اثنا عشر سبطاً منذ مئات السنين. وكانت الإشارة الرمزية بجمع اثني عشر رجلاً حوله تُظهر أنه يعيد الآن تكوين شعب إسرائيل من حوله.

والوظيفة المؤقتة لهذا الرمز تؤكّدها أعمال الرسل 1، حيث يعطي بطرس توجيهات بشأن خلافة يهوذا. فيجب أن يكون الخلف رجلاً كان من جماعة التلاميذ طوال خدمة يسوع العلنية كلها (أعمال 1: 21-22). وهذا أمر فريد لا يتكرّر.

وهناك نظير كتابي معادل في الوزن لرمزية الاثني عشر. وهو يظهر في قيامة يسوع. إنه اختياره المقصود لنساء ليكنّ أول من يشهد بأنه قام من الأموات. وهذا ما نراه في روايات القيامة في متى 28 ولوقا 24 ويوحنا 20. هذا العمل الرمزي يُظهر أن المصيبة التي جاءت في التكوين 3 تُصلّح الآن. وكما قال توما الأكويني – مشيراً إلى حواء التي جعلت آدم يأكل من الثمرة المحرّمة:

«كما كانت امرأة أول من أعلن كلمات الموت، كذلك كانت امرأة أول من سيعلن كلمات الحياة» (توما الأكويني، شرح إنجيل يوحنا، المحاضرة 3 على يوحنا 20).

1 كورنثوس 7

ننتقل بعد ذلك إلى أطول مقطع في العهد الجديد عن موضوع الزواج: 1 كورنثوس 7.

هذا هو الموضوع الوحيد في الكتاب المقدس الذي يتكلّم صراحةً عن السلطة في الزواج وعن الكيفية التي ينبغي أن تُتخذ بها القرارات في الزواج.

هل للزوج في 1 كورنثوس 7 سلطة ليست للزوجة؟ لا. إنهما جسد واحد. في العدد 4 يستعمل بولس للتعبير عن سلطة الرجل وعن سلطة المرأة المصطلحات نفسها تماماً. فسلطتهما متبادلة.

هل الرجل في 1 كورنثوس 7 هو صاحب القرار؟ لا. في العدد 5 يقول بولس إن القرارات المتعلقة بتخصيص وقت مشترك للصلاة، وبالعلاقة الجنسية، يجب أن تُتخذ بالتراضي المتبادل. هذه هي التبادلية في الزواج.

أفسس 5 و1 بطرس 3

في أفسس 5: 21 يدعو بولس جميع المؤمنين إلى الخضوع المتبادل، بحيث يخضع كلٌّ للآخرين. بعض المفسرين يستثنون الأزواج في ما يتعلّق بزواجهم. لكن بولس لا يفعل ذلك. فلا يوجد في كلمة الله مثل هذا الاستثناء.

وبعد أن دعا بولس في العدد 21 جميع المؤمنين إلى الخضوع المتبادل، لماذا يتابع في الأعداد 22-24 فيذكر الزوجات صراحةً بأن يخضعن لأزواجهن؟ على الأرجح ظنّت بعض الزوجات المسيحيات في أفسس أن مكانتهن الجديدة المتساوية مع أزواجهن في المسيح تعطينهن سببًا لعدم الخضوع ولعدم معاملة أزواجهن باحترام. فيذكرهن بولس بأن يخضعن وأن يحترمن أزواجهن في خوف المسيح.

في هذا المقطع يستعمل بولس استعارة الرأس ليوّضح كيف ينبغي أن يتصرّف الزوج تجاه زوجته. وهي ليست استعارة للتسلّط، بل لما يمكن أن نسمّيه «دور المخلّص» (انظر 5: 23). فهو يفكر: ماذا يفعل الرأس حين يكون متّصلًا بجسد؟ إنه يغذّيه ويعتني به.

إن استعارته عن الرأس والجسد تستند إلى التصرّو الشائع بأن الرأس يغذّي الجسد. فكما أن المسيح بمحبة باذلة يغذّي شعبه الذي هو متّحد به، كذلك الزوج مدعوّ بمحبة باذلة إلى أن يغذّي زوجته ويعتني بها، وهي التي اتّحد بها جسديًا واحدًا (5: 25-33).

أظن أن بولس يطبّق هنا المبدأ الذي أرساه يسوع:

«فكل من أُعطي كثيرًا يُطلب منه كثير، ومن يودعونه كثيرًا يطالبونه بأكثر». (لوقا 12: 48)

الأزواج يملكون قوة جسدية أكبر وامتيازات اجتماعية. ولذلك يحملون مسؤولية أكبر في المحبة الباذلة وفي خدمة زوجاتهم. هذا هو معنى دورهم بوصفهم رأسًا.

وتعليم بطرس منسجم مع تعليم بولس. ففي 1 بطرس 3 يوجّه بطرس الأزواج إلى أن يعاملوا زوجاتهم بتواضع ومراعاة، وأن يعطوهن كرامة بوصفهن وراثات معهم للحياة الجديدة والأبدية.

خدمة النساء في العهد الجديد

حين ننظر إلى رواية انسكاب الروح القدس في يوم الخمسين ونقرؤها بانتباه، نستطيع أن نرى عمل الروح القدس: فقد أعلنت النساء مع الرجال علنًا عظام الله أمام جمهور مختلط من الرجال والنساء (أعمال 1: 14؛ 2: 18-1). وشرح بطرس ما جرى مستشهدًا بالنبي يوشع: «ويتنبأ ... بناتكم» (أعمال 2: 17).

وكما في العهد القديم، بل بقوة أكبر الآن، يحرك الله نفسه النساء إلى أن يخدمن علنًا الرجال والنساء على السواء.

في سفر أعمال الرسل تشارك النساء بعد يوم الخمسين مشاركة فعّالة في نشر رسالة يسوع (أعمال 8: 1-4؛ 18: 26-18؛ قارن «رجال» في أعمال 11: 20).

وفي الرسائل يعلم الرسول بطرس والرسول بولس كلاهما أن الخدمة قائمة على المواهب الروحية. ففي 1 كورنثوس 12 يبحث بولس أهل كورنثوس – رجالًا ونساءً – على أن يجدوا للمواهب الحسنى، مواهب الرسل والأنبياء والمعلمين.

ولا يوجد في المقاطع المختلفة التي تعلم عن المواهب أي إشارة إلى أن الله لا يمنح مواهب القيادة أو التعليم إلا للرجال (رومية 12: 3-8؛ 1 كورنثوس 12: 1-30؛ أفسس 4: 11-13؛ 1 بطرس 4: 10-11). ومثل هذا التقييد سيكون مفاجئًا إلى حد بعيد في ضوء غلاطية 3: 28:

«ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حرّ. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع.»
(غلاطية 3: 28)

ومن النساء الموهوبات في العهد الجديد نبيّات مثل بنات فيلبس (أعمال الرسل 21: 9)، والشّماسة فيبي (رومية 16: 1-2)، والمعلّمتان مريم وبريسكلا، والرسولة الرائدة يونيا (أعمال الرسل 18؛ رومية 16: 3-4، 7؛ يوحنا الذهبي الفم (Chrysostomos)، العظة 31 على الرسالة إلى رومية).

في 1 كورنثوس 11 نرى أن النساء والرجال تولّوا معًا دورًا قياديًا فعليًا في الكنائس المحلية، بأن تنبأوا وقادوا الصلاة. وكذلك يقول بولس في 1 كورنثوس 14: 26 إن «كل واحد» يقدم مساهمة فعّالة بطريقة أو بأخرى، بما في ذلك التعليم. هذه هي التبادلية في الخدمة.

الرؤيا

إن النظرة التبادلية، التي بحسبها يقود الرجال والنساء أو يملكون معًا، تشير إلى الرؤيا العظيمة في الرؤيا 5.

تصف رؤيا يوحنا ثمرة عمل الفداء العظيم الذي قام به يسوع، الحمل الذي اشترى بدمه أناسًا من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة:

«وجعلتهم لإلهنا مملكةً وكهنة، وسيملكون على الأرض!» (الرؤيا 5: 10)

وبهذا يتحقّق أخيرًا قصد الله للبشرية – الرجال والنساء شركاء في التسلّط – الذي رأيناه من قبل في التكوين 1. هذه هي الرؤيا: أن يمارس جميع المؤمنين، بوصفهم كهنة لله، سلطانه على الأرض – لا الرجال وحدهم. هذه هي الرسالة الإيجابية: التبادلية في الزواج، والتبادلية في الخدمة، والرجال والنساء معًا ممثّلون لله.

تقييم من عشر نقاط للآراء التكاملية

لأكون واضحًا: أنا لا أشكّك في صدق ما يؤمن به الإخوة والأخوات التكامليون. لكن ما أضعه موضع التساؤل هو صحّة هذه الآراء بوصفها نقلًا أمينًا لما يقوله الكتاب المقدس فعليًا.

يتّفق المعلمون التكامليون مع التبادليين على أن النساء بشر مخلوقون على صورة الله مثل الرجال تمامًا. ومع ذلك يقولون إن على الرجال أن يتسلّطوا على النساء بلطف، وأن يقودوهن، وأن يمارسوا السلطة عليهن، أو أن يتّخذوا القرارات نيابة عنهن.

وهم لا يستندون إلى السبب التقليدي الأصلي لدور الرجال القيادي. فالمسألة لم تعد أن النساء أدنى بطبيعتهن. بل يقولون إن الله ورّع على الرجال والنساء «أدوارًا» مختلفة – في الزواج، وفي الكنيسة، وربما أيضًا في المجتمع بالمعنى الأوسع.

سنستعرض النقاط العشر التي نقارن فيها النظرة التكاملية بما يقوله الكتاب المقدس.

ولكن قبل أن نفعل ذلك، ينبغي أن نلاحظ أن كلمة «دور» لا ترد في الكتاب المقدس.

حين أصبح من المسلّم به أن رأي الأغلبية التقليدي في الكنيسة بشأن النساء كان خاطئًا، طوّر التكامليون تسويغًا جديدًا لإخضاع النساء لقيادة الرجال، مستعملين لغة «الأدوار» المأخوذة من علم الاجتماع.

إن فكرة «أدوار» الرجال والنساء هذه كانت من اختراع القرن العشرين. ولا يوجد لها أثر في التفسير الكتابية من القرن الأول حتى القرن التاسع عشر. ولكن في طبعة سنة 1991 من Recovering Biblical Manhood and Womanhood يُستعمل مصطلح «دور» أكثر من 700 مرة.

وبما أن الله منح النساء الصفات الأخلاقية والفكرية نفسها التي منحها للرجال، ووهبهن مواهب القيادة، فلا يبدو أن هناك أي سبب مقنع للتوزيع المزعوم لـ«الأدوار» – ومع ذلك فإنهم يعلمون هذا التوزيع بالذات.

(1) التكوين 2 و3

بحسب رأي العلماء التكاملين يُظهر الأصحاحان 2 و3 من سفر التكوين أن الله عيّن الرجال لممارسة دور قيادي لطيف تجاه النساء أو تجاه زوجاتهم. وهم يدّعون أنهم يجدون في هذين الأصحاحين «إشارات» إلى قيادة الذكور.

وحين راجعت الأدبيات المتعلّقة بذلك، وجدت 13 نقطة أوردها علماء مختلفون بوصفها إشارات إلى قيادة الذكور في هذين الأصحاحين.

ولنذكر مثالًا: لقد خلقت المرأة من الله «معينًا» للرجل. ويُفترض أن هذه إشارة تتضمّن دورًا قياديًا للذكر.

لو كُتب سفر التكوين أصلًا بالإنجليزية، لربما استطعنا أن نرى فيه مثل هذا المضمون الضمني. فنحن نستعمل كلمة «مُساعد» (helper) في الغالب بمعنى مساعد تابع.

لكن سفر التكوين كُتب بالعبرية. والكلمة المقابلة لـ«معين» هي **ezer**. وفي العبرية كثيرًا ما يُقال إن الله هو **ezer** إسرائيلي. غير أن هذا ليس إشارة إلى أن الله جعل إسرائيل قائدًا على الله! فهذا المضمون الضمني المزعوم لكلمة **ezer** غير موجود في اللغة العبرية.

ونستطيع الآن أن نستعرض الإشارات المزعومة الثلاث عشرة كلها ونبيّن لماذا هي إشكالية. لكن النقطة الحاسمة شيء آخر، وهي أبسط بكثير.

النقطة الحاسمة هي الآتية: التلميحات المزعومة لا تكفي.

إن ادّعى أحد أن على الرجال واجبًا معطى من الله بأن يقودوا النساء، فمن حقنا أن نسأل: أين أمر الرجال بهذا؟ أين قيل للرجال إن هذا واجبهم المعطى من الله؟

لا يوجد مثل هذا الأمر للرجال، ولا أي قول عن واجب الرجال، في التكوين 2 أو التكوين 3. إنها إضافة إلى الكتاب المقدس.

(2) العهد القديم عمومًا

بحسب رأي العلماء التكاملين يُظهر العهد القديم أن الله جعل الدور القيادي حكرًا على الرجال. ويشيرون في ذلك إلى الملوك الذكور والكهنة الذكور.

وسيكون من المفيد أن نناقش لماذا لا تصمد حججهم المستندة إلى الملوك والكهنة.

لكن النقطة الحاسمة في العهد القديم بسيطة جدًا، وهي أن الدور القيادي ليس في الواقع حكرًا على الرجال. لقد لاحظنا من قبل الشبه بين دبورة وموسى وصموئيل. واختيار الله لدبورة قائدة لشعبه يناقض فكرة أن الله جعل الدور القيادي حكرًا على الرجال. فهذه القاعدة أُضيفت إلى العهد القديم لاحقًا؛ وهي ليست موجودة فيه.

وإن طرح أحد هذه الحجج ... لا - لا يوجد في النص أي إشارة إلى أن فرض قائدة ناجحة على إسرائيل، نعمت البلاد تحت قيادتها بالسلام 40 سنة، كان بطريقة ما عقابًا من الله لإسرائيل. فلا الله ولا الشعب يُبدیان أي تحفظ تجاه دبورة بوصفها قائدة.

(3) يسوع

نستطيع أن نتناقش مطوّلًا في كيفية معاملة يسوع للنساء، وفي النظريات المختلفة حول سبب اختيار يسوع اثني عشر رسولًا من الذكور. لكن النقطة الحاسمة في الأناجيل تتألف من حقيقتين تتعلّقان بتعليم يسوع.

الحقيقة 1: أعطى يسوع تلاميذه عن قصد وصايا كثيرة لا يحدها زمن، ستكون ذات أهمية للأجيال القادمة. فالإرسالية العظمى تطلب من التلاميذ في المستقبل أن يتلمذوا تلاميذ جدًّا، وأن «يعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (متى 28: 20). فلكي نكون تلاميذ أمناء، يجب أن ننتبه بدقة إلى ما أوصى به يسوع.

الحقيقة 2: كان من بين الوصايا التي لا يحدها زمن، والتي أعطاها يسوع، وصايا عن القيادة وعن الزواج وعن التلمذة. لكنه عن قصد لم يُعْطِ أي وصية بأن تكون القيادة حكرًا على الرجال، لا في الكنيسة ولا في الزواج ولا في أي مكان آخر.

يعتقد التكامليون أن من المهم أن يقود الرجال، على الأقل في الزواج وفي الكنيسة. لكن يبدو أن يسوع، قائدنا وربنا، لم يشاركهم هذه القناعة. فلو كان الأمر مهمًا لعلمه. وهو لم يفعل.

(4) 1 كورنثوس 7

سيكون من المفيد أن نناقش كيف يوضح الأصحاح كله نظرة بولس إلى المساواة الكاملة في العلاقات بين الرجال والنساء. ولكن لاستخلاص النقطة الجوهرية، نركّز فقط على العدد 5، الذي يوجّه فيه بولس الأزواج المسيحيين إلى كيفية اتّخاذ القرارات بشأن العلاقة الجنسية وبشأن وقت الصلاة المشترك - بالتراضي المتبادل.

ويجب على التكاملين أن يدّعوا أن هذا التوجيه يمثّل استثناءً خاصًا من الدور القيادي للزوج ومن مسؤوليته في اتّخاذ القرار.

لكن فكرة الاستثناء الخاص لا معنى لها. فالأمر هنا يتعلّق بشؤون مهمة - بل محورية. فالعلاقة الجنسية هي الحميمة الجسدية التي تميّز الزواج عن كل العلاقات الأخرى. والصلاة المشتركة هي القلب الروحي

للزواج. فإن كان يجب أن تُتخذ القرارات في هذه الشؤون الجسدية والروحية المحورية بالتراضي المتبادل، فكيف يكون من المعقول أن يُحتج بأن على الزوج بطريقة ما أن يتولّى الدور القيادي وأن يتخذ القرارات في جوانب أخرى أقل أهمية من العلاقة الزوجية؟

لا يمكن تقديم جواب مقنع عن ذلك.

في سنة 1988 دُوّن الموقف التكاملي بعناية في بيان دانفرز (Danvers Statement)، الذي وقّعه كثير من الرعاة واللاهوتيين المعروفين. لكن بيان دانفرز يفشل ببساطة في هذه النقطة. فهو لا يعترف حتى بوجود هذا المقطع الكتابي المهم.

(5) أفسس 5 و1 بطرس 3

هناك أمور شائعة كثيرة يمكننا أن نتناقش فيها عن حقّ في أفسس 5 و1 بطرس 3. نستطيع أن نناقش الآراء المتعارضة حول ما يقصده بولس باستعارة «الرأس» في أفسس 5: 23. ونستطيع أن نناقش التفسيرات المختلفة لإشارة بطرس إلى سارة، التي دعت إبراهيم «سيدي» - وهو ما تمت به في نفسها بصوت خافت في ضحكة غير مصدقة (1 بطرس 3: 6؛ التكوين 18: 12). لكن النقطة الحاسمة لا تتطلب أن نشغل أنفسنا بما قصده بولس بـ«الرأس»، ولا أن نفسّر تفاصيل حجة بطرس. لأن النقطة الحاسمة لا تتعلق بما يقوله بولس وبطرس؛ بل بما لا يقولانه.

نستطيع أن نتفحص أفسس 5 و1 بطرس 3 بحثًا عن توجيه للأزواج بأن يتسلّطوا على زوجاتهم، أو يقودوهن، أو يمارسوا السلطة عليهن، أو يتخذوا القرارات نيابة عنهن. لكننا لن نجد، لأنه لا توجد توجيهات كهذه. يدعو بولس الأزواج إلى أن يحبّوا زوجاتهم. ويقول ذلك ثلاث مرات. ويدعو بطرس الأزواج إلى أن يعاملوا زوجاتهم بمراعاة وأن يكرمواهن. لكن أيّا من الرسولين لا يعطي الرجال التوجيهات التي يزعمها التكاملون. يقدّم بيان دانفرز الواجب المزعوم على الرجال بأن يقودوا زوجاتهم على أنه بالغ الأهمية. ويدّعي أن إهمال واجبهم القيادي أو إنكاره سيؤدّي إلى عواقب مدمّرة في العائلات (بيان دانفرز، البند 10). لكن ليس من المشروع أن يُخلق أمر من الله ثم يدّعى أن طاعته بالغة الأهمية للرجال. حين يقول التكاملون إن الله يطلب من الأزواج أن يتسلّطوا على زوجاتهم، ويقودوهن، ويمارسوا السلطة عليهن، أو يتخذوا القرارات نيابة عنهن، فإنهم يضيفون إلى كلمة الله تقليدًا من تقاليد البشر.

(6) خدمة النساء في العهد الجديد

حين يتعلّق الأمر بخدمة النساء في العهد الجديد، فإن النهج العام للمفسّرين التكاملين هو التقليل من شأن ما فعلته النساء أو التهوين منه.

وهناك الكثير مما يمكننا قوله عن مواطن الضعف في تفسيراتهم. لكن النقطة الأوضح والأهم هي الصعوبة التي يواجهونها مع مثال بريسكلا التي علّمت أبلّوس في أعمال الرسل 18.

فهم يقولون: آه، لم يكن ذلك سوى حديث لاهوتي خاص بين بعض المؤمنين العاديين. ولكن إذا راعينا السياق، فإن هذا التفسير لا يكفي.

من قرأ القصة يعرف ما يجري.

يصل إلى أفسس فريق لتأسيس كنيسة مؤلف من ثلاثة أشخاص – بولس وبريسكلا وأكيلا. يستطيع بولس أن يركز بالإنجيل في المجمع ويلقى هناك تجاوبًا إيجابيًا من اليهود. فيرغبون في أن يبقى ويواصل التعليم، لكنه يقرّر أن يمضي في سفره.

فحين يمضي في سفره، من يترك هناك ليعتني بالجماعة الجديدة من المؤمنين؟ لا بدّ أنهما بريسكلا وأكيلا. فهما عضوا الفريق اللذان يبقيان.

وحين يصل أبلّوس، تسمعه بريسكلا وأكيلا يتكلّم فيقلقان. فمع أنه متعلّم وخطيب مقتدر، يحتاج أبلّوس إلى أن يفهم طريق الله بأكثر تدقيق. فتأخذه بريسكلا وأكيلا جانبًا ويعلمانه.

وقد فهم المفسّرون في القرون الأولى جيدًا أن اسم بريسكلا يُذكر قبل اسم زوجها لأنها كانت المعلّمة القائدة (مثلًا يوحنا الذهبي الفم، العظة 30 على الرسالة إلى رومية؛ يوحنا الذهبي الفم، العظة الأولى عن بريسكلا وأكيلا).

فلماذا يُصغي أبلّوس ذو النفوذ إلى بريسكلا وأكيلا، أو يلتفت إليهما أصلًا – ولا سيما أن المعلّمة الرئيسية امرأة؟ لأنهما عاملان مع بولس تركهما هناك ليعلّما المؤمنين الجدد ويرعياهم.

وحين يقوّمان أبلّوس، فليس ذلك مجرد حديث خاص بين مؤمنين أيّا كانوا. بل بوصفهما العضوين الباقيين من الفريق، المسؤولين عن الرعاية الروحية للمؤمنين الجدد، يمارسان سلطتهما لتصحيحه.

يُدرج لوقا هذه القصة ليُظهر كيف وسّع بولس خدمته من خلال التعاملات والعاملين معه الذين درّبهم. وهي توضح الطريقة التي يصفها بولس لتيموثاوس في 2 تيموثاوس 2: 2:

«وما سمعته مني بشهود كثيرين، أودعه أناستًا آمناء، يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضًا.» (2 تيموثاوس 2: 2)

إن الناس الأمناء أو الأشخاص الأمناء ليسوا رجالًا، بل نساء ورجال. فلا يوجد في هذا العدد أي تحديد للجنس.

(7) 1 كورنثوس 11

1 كورنثوس 11: 2-16 هو المقطع الكتابي الصعب عن تسريحات الشعر أو أغطية الرأس.

يعطي بولس الرجال والنساء على السواء بعض التوجيهات التصحيحية للحالة التي يقودون فيها الكنيسة بالتنبؤ أو بالصلاة بصوت مسموع. كان أهل كورنثوس يعرفون ما يجري في كورنثوس وفي كنائسهم، ولذلك لا بدّ أن توجيهاته لم تكن صعبة الفهم عليهم. أما بالنسبة إلينا فالأمر أصعب. فهناك نقاش كثير حول الخلفية.

يستعمل التكاملون هذا المقطع لخدمة لاهوتهم عن الدور القيادي. فهم يفسّرون استعارة بولس عن «الرأس» في العدد 3 تفسيرًا مختلفًا عليه، ويضيفون كلمات إلى العدد 10، فيحرّفون بذلك المعنى حتى يقول عكس ما يرد فيه فعليًا.

في كتابي الجديد أقترح تفسيرًا لهذا الأصحاح نشأ بدعم كبير من فيل باين (Phil Payne)، تتسق فيه كل الأجزاء اتساقًا معقولًا، وأذكر ثماني نقاط تتعارض فيها التفسيرات التكاملية لهذا المقطع مع كلمات بولس الفعلية.

لكننا لا نحتاج إلى التوسّع في ذلك هنا، لأن النقطة الحاسمة، كما قلت، بسيطة جدًا. فأيّ كان تفسير المرء للمقطع، فإن الحقيقة الواضحة التي لا جدال فيها هي أن بولس في 1 كورنثوس 11 لا يضع حدودًا لنطاق خدمة النساء.

فهو يُقرّ بأن النساء يتنبّأن أمام الرجال والنساء على السواء. ويُقرّ بأن النساء يصلّين بصوت مسموع في حضور الرجال والنساء. ولا يمنع النساء من الوعظ، ولا من تعليم الرجال، ولا من ممارسة الخدمة الرعوية أو قيادة كنيسة، ولا من أي نشاط آخر في الخدمة. إن القيود التكاملية على خدمة النساء غائبة عن هذا المقطع.

(8) 1 كورنثوس 14: 34-35

يقول هذان العددان ثلاث مرات وبثلاث طرق مختلفة إن على النساء أن يصمتن صمًا تامًا في الكنيسة.

ترجمة Elberfelder CSV (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس) للعديدين 34-35 هي كما يلي:

[1] لتصمت النساء في الاجتماعات.

[2] لأنه ليس مأذونًا لهن أن يتكلّمن، بل أن يخضعن، كما يقول الناموس أيضًا.

[3] ولكن إن كنّ يردن أن يتعلّمن شيئًا، فليسألن رجالهن في البيت؛ لأنه قبيح بالمرأة أن تتكلّم في الاجتماع. وأكثر ما يلفت النظر في هذه الكلمات أنها لا تعبّر عن رأي بولس نفسه.

لقد علّم بولس في الأصحاحات 11 و12 و13 و14 كيف ينبغي أن تُنظّم مشاركات الرجال والنساء الكلامية في الكنيسة المجتمعة بحسب مواهبهم الروحية، لكي تكون مشاركاتهم لائقة ومُحِبّة وبترتيب. لكن النساء لا يستطعن تقديم مشاركات كلامية بحسب مواهبهن إن لم يكن مسموحًا لهن أن يتكلّمن!

ومعظم المفسّرين التكاملين يُقرّون بلا تردّد بأن بولس لا يمكن أن يقصد ما يقوله هذان العددان فعلًا: أن على النساء أن يصمتن في الكنيسة وألا يتكلّمن.

والرأي التكاملي السائد يقول إن بولس يريد هنا فقط أن يمنع نوعًا معيّنًا من كلام النساء – وهو الحكم على النبوءات أو تقييمها، وهو ما يرون أنه يتعارض مع «الدور القيادي الذكوري». لكن هذا الرأي لا يصمد. فهو يتعارض مع الكلمات الواضحة، وهي كلمات مؤكّدة ومطلقة بلا قيد.

لو كانت الفرضية القائلة إن الحكم على النبوءات هو الممنوع صحيحة:

- لكان بولس يضلّل سامعيه حين يعلن بوضوح وجلاء منعًا تامًا لكل نوع من الكلام من جانب النساء، مع أنه لا يقصد، كما يُزعم، إلا أن يمنع النساء من الحكم على النبوءات.
- ولكان يضلّل سامعيه أكثر من ذلك حين يكرّر المنع التام ثلاث مرات ليشدّد عليه تشديدًا خاصًا.
- ولكان يضلّلهم حين يقول بوضوح إن منع الكلام يسري حين تكون النساء في الكنيسة، مع أنه لا يريد، كما يُزعم، أن يسري إلا حين يُحكم على النبوءات.
- ولكان يورد، على نحو غير منطقي، مثالًا وحيدًا ملموسًا على تطبيق المنع هو طرح الأسئلة بدافع الرغبة في التعلّم، وهذا نشاط مختلف عن النشاط الذي يريد، كما يُزعم، أن يمنعه.

• ولكن يناقض ما قاله لتوّه في العدد 29 عمّن ينبغي أن يقيّم النبوءات. ففي العدد 29 يقول إن «الآخرين» ينبغي أن يميّزوا ما قيل – أي إن الأنبياء الآخرين ينبغي أن يزنوا النبوءة. و«الآخرون» يشملون الرجال والنساء على السواء.

• بل إنه في الواقع يناقض الفكرة الجوهرية لتعليمه كله في الأصحاحات 11 إلى 14، أي أن كل عضو في الكنيسة ينبغي أن يقدّم إسهامًا بحسب مواهبه الروحية – وهذا يعني أن النساء اللواتي لديهن موهبة الكلام ينبغي أن يستعملنها لا أن يصمتن.

إن القاعدة القائلة إنه لا يجوز للنساء أن يحكمن على النبوءات غير موجودة في النص.

وهذه هي النقطة الحاسمة: حين ننظر إلى ما يقوله هذان العددان بوضوح تام، نستطيع أن نتيقّن من أنهما لا يعبران عن رأي بولس نفسه.

لا يوجد إلا احتمالان واقعيان لفهم ما يجري هنا.

الاحتمال الواقعي الأول هو أنه يقتبس كلام فئة معيّنة من المعارضين ليردّ عليهم في ما يقوله بعد ذلك (في الأعداد 36 إلى 40).

والاحتمال الواقعي الثاني هو أن العددين إضافة لاحقة نشأت من أن ملاحظة هامشية في نسخة مبكرة نُقلت إلى النص الرئيسي عند إعادة نسخ الرسالة. وهناك أمثلة أخرى على ذلك في مخطوطات العهد الجديد.

وبسبب الخصائص المميّزة للمخطوطات التي تحتاج إلى تفسير، أرى أن النظرية الثانية هي الصحيحة على الأرجح – نظرية الإضافة اللاحقة.

بيان دانفرز لا يستند بحكمة إلى هذين العددين. وهذا تحقّق حكيم، لأن أحدًا لم يجد طريقة مُرضية لتفسيرهما على نحو يجعلهما يعبران عن رأي بولس نفسه. والسبب أن هذين العددين لا يعبران عن رأي بولس نفسه.

(9) 1 تيموثاوس 2

في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس يكتب بولس إلى تيموثاوس في أفسس ويعطيه توجيهات بشأن التعامل مع التعليم الكاذب ونتائجه.

أكثر ترجمات الكتاب المقدس الإنجليزية رواجًا بين التكاملين هي ESV. وفي ESV جاء في 1 تيموثاوس 2: 12:

«لا أسمح لامرأة أن تعلّم أو أن تمارس سلطة على رجل.»

وترجمة Elberfelder CSV الألمانية تنقله هكذا:

«ولكن لا أسمح لامرأة أن تعلّم ولا أن تتسلّط على الرجل، بل أن تكون هادئة.»

لهذا العدد أهمية هائلة في الفكر التكاملي، لأنه يسوّغ قيودًا عامة على خدمة النساء.

والعددان التاليان – العددان 13 و14 – يذكّران آدم وحواء. والتفسيرات التكاملية للعدد 12 تفهم بولس على أنه يضع قاعدة سلوك عامة – قاعدة تقوم على مشيئة الله كما أُعلنت في سفر التكوين، في قصة آدم

وحواء. وهم يعتقدون أن بولس يشير إلى مبدأ خلقي هو سلطة الرجل على المرأة.

وهناك نقاش مهم حول ما إذا كان بولس يشير هنا فعلاً إلى مبدأ خلقي، أم أنه بالأحرى يُحيل إلى قصة آدم وحواء ليحث تيموثاوس على استعمالها مثلاً على الخطر الذي ينشأ حين تعلّم امرأة مُضلّلة رجلاً.

وهناك أيضاً نقاش مهم حول ما إذا كانت عبارة «تمارس سلطة» ترجمة صحيحة. فبرأيي ستكون الترجمة الأفضل «تقهر» أو «تتسلّط» أو «تهيمن».

وهناك أيضاً نقاش مهم حول صيغة المفرد «امرأة» في العددين 11 و12. هل يتعلّق الأمر بشخص معيّن في أفسس لا يريد بولس أن يذكره باسمه، أم أنه يقول قولاً عاماً من نوع ما؟ وإن كان يقول قولاً عاماً، فمن هُنّ النساء اللواتي يشكّلن هذه الفئة؟ هل هُنّ كل النساء، أم نساء غنيّات معيّنات تكلم عنهن لتوّه في العددين 9 و10؟

وهناك أيضاً نقاش مهم حول سبب ورود كلمة «رجل» في العدد 12 بصيغة المفرد. يقول التكامليون إنه لا بأس في أن تعلّم امرأة رجلاً واحداً، كما فعلت بريسكلا، لكن لا ينبغي للنساء أن يعلّمن مجموعات من الرجال – وهذا ما لا يقوله بولس.

ولكن لأغراضنا، ينصبّ تركيزنا الرئيسي على الجملة القصيرة في العدد 12: «ولكن لا أسمح».

في اليونانية هما كلمتان فقط: *ouk epitrepō*، ويمكن أن تُترجما بحسب السياق إما «لا أسمح» وإما «لا أظن أن «لا أسمح في الوقت الحاضر» أنسب للسياق، لكن لنبقَ عند ترجمة «ولكن لا أسمح».

هذه الجملة الصغيرة، «لا أسمح» أو *ouk epitrepō*، تشكّل عائقاً لا يمكن تخطّيه أمام التفسير التكاملي. لأن صياغة بولس دليل واضح على أنه لا يضع قاعدة عامة قائمة على مشيئة الله المُعلّنة. دعوني أشرح ذلك.

بحسب اللاهوت التكاملي عن «رئاسة» الذكر يقول بولس إنه من الخطأ أن تمارس امرأة سلطة على رجل (ع 12)، لأن الله خلق آدم قبل حواء (ع 13)، ومن هذا الترتيب في الخلق يُستنتج أنه من الخطأ، بحسب خطة الله، أن تكون للنساء سلطة على الرجال. ويترتّب على ذلك أن مخالفة خطة الله في الخلق، أي سلطة الذكر على الأنثى، تعادل العصيان لمشيئة الله المُعلّنة للرجال والنساء.

وعدم الطاعة لمشيئة الله المُعلّنة خطيّة. وفعل ذلك عن علم تمردّ على الله. ولذلك جاء في بيان دانفرز أنه من الخطيّة أن «تقاوم» النساء «القيود المفروضة على أدوارهن» (بيان دانفرز، البند 4).

ولكن إن كان بولس يتكلّم عن أمر يعادل العصيان الخاطئ لمشيئة الله المُعلّنة، فكيف نفسّر اختيار بولس لكلماته؟ إن بولس لا يستطيع أن يمنح إذناً بالخطيّة، أو بعصيان الله، أو بالتمرد، ولا أن يمنعه. فنصّ القاعدة التي يدّعي التكامليون أن بولس يعرضها يتعارض مع اختيار بولس لعبارة «لا أسمح» أو *ouk epitrepō*.

تخيّلوا أنكم قائد مسيحي بارز يعلم – لنقل – قداسة الحياة البشرية وخطيّة القتل، ويدعم تعليمه بسفر التكوين، لأن البشر مخلوقون على صورة الله، كما جاء في التكوين 1: 26-27، وكذلك في التكوين 5: 3، ومرة أخرى في التكوين 9: 6. هل تستطيعون جادّين أن تتخيّلوا أن تقولوا أو تكتبوا ما يلي: «لا أسمح بالقتل، لأن الله خلق الإنسان على صورته»؟

يصعب أن نتخيّل أن البابا نفسه سيتكلّم هكذا. والسبب أنه ليس قراركم (ولا قرار البابا) أن يكون القتل صوابًا أو خطأً، وليس من حقّكم (ولا من حقّ البابا) أن تسمحوا به أو لا تسمحوا. فالقتل يتعارض مع مشيئة الله المُعلّنة للبشر. وعدم الطاعة لمشيئة الله المُعلّنة خطيئة.

ولو كنتم لسبب ما مصمّمين على استعمال كلمة «يسمح» للتعبير عن المنع، لنقلتم بنزع الطابع الشخصي عن العبارة أن الأمر يتعلّق بقاعدة عامة، كما في «كلمة الله لا تسمح بالقتل» أو «لا يُسمح بالقتل».

ومثال القتل مناسب بسبب صلته بسفر التكوين. والقتل بطبيعة الحال حالة متطرّفة. لكن سواء كانت الخطيئة ضد مشيئة الله المُعلّنة كبيرة أو صغيرة – تبقى النقطة الجوهرية هي نفسها.

وأنا أُقرّ بأن بولس يكتب رسالته بوصفه رسولاً، ويمارس في ذلك سلطته الروحية على كنيسة أسّسها بنفسه. ولكن حتى لو أراد بولس أن يعبّر عن منع قائم على الخلق، يعكس مشيئة الله المُعلّنة للرجال والنساء، وتكون مخالفته خطيئة وتمرّدًا، فإن صياغته القائمة على رفض الإذن رفضًا شخصيًا غريبة جدًا. بل هي في الواقع غير ملائمة على الإطلاق، حتى إنه يصعب أن نجد كلمات تعبّر عن غرابتها تعبيرًا كافيًا. لو كنت راعيًا، لما قلت لرعيّتك: «لا أسمح لكم أن تزنوا» أو «لا أسمح لكم أن تسرقوا».

الكتاب المقدس مكتبة كبيرة من الأسفار، ويتضمّن قواعد سلوك عامة كثيرة، لكن – وهذا غير مفاجئ – لا يوجد في أي موضع في الكتاب المقدس، من التكوين إلى الرؤيا، مقطع يصوغ فيه أحد منعًا عامًا لسلوك خاطئ بعبارة «لا أسمح» أو «لا أسمح في الوقت الحاضر». هذا أمر لا سابقة له على الإطلاق.

فماذا يقول العلماء التكامليون جوابًا عن هذا الاعتراض الجوهري؟ كيف يفسّرون مثل هذا الاختيار للكلمات، الذي لا سابقة له وغير الملائم، لمنع يُزعم أنه عام وقائم على خطة الله في الخلق للرجل والمرأة؟

لقد راجعت كتابات العلماء التكاملين ومقاطع الفيديو لمايك وينغر (Mike Winger)، ولم أجد جوابًا عن ذلك. (انظر الحاشية الختامية).¹

إن التفسير التكاملي لا يتّفق مع كلمات بولس.

والتفسير البديهي لاختيار بولس لكلماته هو أنه لا يعبّر عن قاعدة سلوك عامة، ولا عن منع عام؛ بل يفرض قيدًا على فئة معيّنة من النساء المُضللّات، ليحدّ من آثار التعاليم الكاذبة.

وكما عبّر عن ذلك تيم ماسكارا (Tim Mascara): 1 تيموثاوس 2 ليس مخطّطًا نموذجيًا، بل ضمادة.

<https://timmascara.substack.com/p/reading-1-timothy-together-part-1>

10) 1 تيموثاوس 3 وتيطس 1

يورد بولس في 1 تيموثاوس 3: 1-7 وفي تيطس 1: 5-9 قوائم بمعايير الأهليّة لشيوخ الكنيسة.

بعض العلماء التكاملين المرموقين يُقرّون بأن هذه القوائم لا تستبعد النساء استبعادًا قاطعًا. لكن آخرين يحتجّون بأن القوائم تستبعد النساء فعلاً، لأن بولس يستعمل فيها عبارة يمكن ترجمتها حرفيًا بـ «رجل لامرأة واحدة فقط». وترد هذه العبارة في 1 تيموثاوس 3: 2 وتيطس 1: 6. وتُترجم ترجمات مختلفة: «زوج امرأة واحدة فقط»، «أمين لزوجته»، «متزوّج مرة واحدة فقط»، «أمين لشريك حياته» أو «أمين في الزواج».

والقائمة في 1 تيموثاوس 3 تشير في ما بعد إلى بيت المرشّح، والقائمتان كلتاهما تشيران إلى أولاد المرشّح.

وهناك نقاش مهم حول ما إذا كان بولس في 1 تيموثاوس 3: 2 وفي تيطس 1: 6 يستعمل لغة المذكر استعمالاً عاماً للدلالة على صفات تسري على الرجال والنساء على السواء.

ونستطيع أيضاً أن نناقش إمكانات ترجمة الكلمة التي تستهلّ القائمتين – dei –، التي يمكن أن تعني «من الضروري» كما يمكن أن تعني «من اللائق».

وهناك نقاش مهم حول الخلفية التاريخية:

- إن كانت هناك استثناءات من الدور القيادي الذكوري في العهد القديم نفسه، وإن كانت هناك استثناءات في المجتمع الأوسع، وإن كان موقف يسوع والرسول من النساء أكثر إيجابية من موقف الثقافة السائدة، وإن كانت النساء قد قبلن مواهب الروح ومارسناها، وإن كانت في الكنائس نساء بارزات مثل بريسكلا ويونيا وليدية، وكذلك نمفا وفيبي وغيرهن، فعندئذ – لو كانت هناك قاعدة تقضي بأن منصب الشيخ في الكنائس محظور على كل النساء – لكان لا بدّ أن يُعبّر عن ذلك بوضوح شديد، حتى لا يبقى فيه أي مجال للشك.

ولكن هنا تأتي نقطتنا المحورية. السؤال الحاسم هو: هل يعطي بولس إشارات إلى المرشّحين المناسبين الذين ينبغي لتيموثاوس وتيطس أن يأخذاهم في الحسبان، أم أنه يضع شروطاً ملزمة لا غنى عنها في كل الحالات لكي يُعدّ الشخص مؤهّلاً لأن يكون شيخاً في كنيسة الله؟ ونقطتنا المحورية هي أنه لا معنى لقراءة هذه القوائم على أنها قوائم بشروط ملزمة.

تذكروا أن بولس كتب في 1 كورنثوس 7 عن مزايا العزوبة للعمل في خدمة الرب. وتفسير القوائم على أنها شروط ملزمة يترتب عليه أن يُعدّ بولس نفسه غير مؤهّل لمنصب الشيخ في كنيسة محلية، لأنه لم تكن له زوجة، ولم يكن يدير بيتاً، ولم يكن له أولاد. بل إن الأمر نفسه سيسري على الرب يسوع نفسه، الذي لم تكن له زوجة ولا بيت ولا أولاد. وهذا استنتاج عبثي.

ليست القوائم متطلّبات عامة ملزمة؛ بل هي مؤشّرات على المرشّحين المحتملين المناسبين بحسب الظروف.

وإن كانت القوائم لا يمكن أن تُستعمل لاستبعاد من ليس لهم شريك حياة أو أولاد أو بيت استبعاداً قاطعاً، فلا يمكن أيضاً أن تُستعمل لاستبعاد النساء استبعاداً قاطعاً.

وتفسيرنا للقائمتين على أنهما مؤشّرات مناسبة للظروف المعنيّة تؤكّده الفوارق بين القائمتين. فمثلاً، بما أن الكنيسة في أفسس راسخة جيّداً، يستطيع بولس أن يقول في 1 تيموثاوس 3: 6 إن المرشّح ينبغي ألا يكون حديث الإيمان. أما الكنائس في كريت، التي يجب على تيطس أن يقيم فيها شيوخاً، فهي حديثة؛ ولذلك لا يوجد في رسالة بولس إلى تيطس مثل هذا الشرط، لأنه كان سيمنع أي تعيين.

النقطتان الأهمّ

دعونا الآن ننتقي مما ناقشناه حتى الآن النقطتين الأهمّ.

واختيارنا للنقطتين الأهمّ ينبع مما يعدّه التكاملون أنفسهم محورياً في موقفهم.

لا شك أن 1 تيموثاوس 2: 12 هو أهمّ نص للقيود التكاملية على خدمة النساء. وكثيراً ما تُؤكّد أهميته المحورية، من العلماء ومن المعلّمين الشعبين على السواء. فمثلاً يقول جورج نايت (George Knight) في

Recovering Biblical Manhood and Womanhood إن العدد 12 هو «أوضح قول» «يُصّر على أن الرجال هم القادة الأساسيون في الكنيسة» (طبعة 1991، ص. 359). ويقول مايك وينغر (Mike Winger) في سلسلة الفيديو «Women in Ministry» إن 1 تيموثاوس 2 هو المقطع «الأوضح» الذي يقيّد الوظيفة القيادية للنساء في الكنيسة (الجزء 12، ALL The Debates over 1 Tim 2:11-15 عند 0:01 وعند 9:00 إلى 9:01).

ولذلك أجد أمرًا مذهبًا إلى حدّ بعيد أن الكتاب والمتكلمين التكاملين ليس لديهم جواب عن اعتراضنا المحوري على العدد 12: وهو المشكلة المتمثلة في أن عبارة «لا أسمح» ليست الطريقة الصحيحة لإرساء قاعدة سلوك عامة يُزعم أنها تعكس مشيئة الله المُعلّنة - قاعدة عامة تكون مخالفتها خطيئة. إن كانت هذه قاعدة عامة من الله، فإن الله هو الذي لا يسمح للمرأة أن تعلّم أو أن تمارس سلطة على رجل - لا بولس!

يُصّر التكامليون على أن الأمر يتعلّق هنا بالضبط بقاعدة كهذه - قاعدة عامة وضعها الله. ولكن عندئذ لا معنى لأن يقول بولس: «لا أسمح». كيف يمكن أن يكون هذا قرآنًا مبدئيًا من بولس إن كان شريعة الله؟ يرى التكامليون هذه القاعدة المزعومة في 1 تيموثاوس 2: 12، التي تقيّد تعليم النساء وسلطتهن، امتدادًا لقاعدة أكثر جوهرية هي سلطة الذكر على الأنثى. فبما أن آدم خُلِق أولًا، يترتّب على ذلك بطريقة ما أن الرجال مسؤولون عن ممارسة السلطة على زوجاتهم وعلى النساء. والثانية من نقطتين الأهم هي أهم النقاط كلها، لأنها تمسّ جذر هذه القاعدة الأكثر جوهرية. إن نقطتنا الأهم هي الغياب التام لأي تعليم إلهي في الكتاب المقدس موجّه إلى الرجال يقول إن مهمة الرجال أن يتسلّطوا على النساء.

جون بايبر (John Piper) هو، إلى جانب واين غرودم (Wayne Grudem)، أحد المهندسين الرئيسيين للتكاملية. وهو يعتقد أن بيان دانفرز «نبوي»، وأنه «يواجه الرجال غير المستعدّين لقيادة زوجاتهم» (Piper, «The Current State of Complementarity»، موقع 2022، Desiring God). وبحسب بايبر فإنه «خطيئة مدمّرة» أن يُقصر الزوج في إعطاء زوجته قيادة روحية (Recovering Biblical Manhood and Womanhood، طبعة 1991، ص. 44).

ولكن إن كان إهمال الواجب المزعوم على الرجل بأن يقود زوجته أو النساء خطيئة مدمّرة، فلماذا لا ينبّه أي نبي وأي معلّم، من التكوين إلى الرؤيا، الرجال صراحةً إلى أن عليهم مثل هذا الواجب؟ بولس لم يقل ذلك. بطرس لم يقل ذلك. يسوع لم يقل ذلك. الله لم يقل ذلك.

إشارة تحذير - راية حمراء

وفي الختام أودّ أن أذكر أمرًا أبرزه في كتابي «التكامل الحقيقي: طريق المسيح للرجال والنساء» (True Complementarity: The way of Christ for men and women).

لنتذكّر أن في الكتاب المقدس فعلًا موضعًا يُصدر فيه أحدهم أمرًا بأن يتسلّط الرجال على النساء. هذا الموضع موجود في سفر أستير، والأمر لم يصدر لا من الإله الحقيقي ولا باسمه.

لقد جاء من «حكماء» وثنيين. وأصدر الأمر ملكٌ وثني غاضب ومنتقم. فقد رفضت ملكته بشجاعة أن تطيع أمره الذي أصدره وهو في سكره، بأن تُعرض كأنها شيء في مآدبته الرسمية وأن يحدّق فيها ضيوفه السكارى.

في أستير 1: 22 ينصّ أمر الملك أخشويروش (Xerxes) على أن يكون كل رجل متسلّطًا في بيته، وهذا يعني على وجه الخصوص أن يتسلّط كل رجل على امرأته (انظر الأعداد 16-20).

وبعد أن هدأ غضب الملك، انصرف إلى شكل مُمأسّس من الاستغلال الجنسي. فقد جُلبت إليه من كل ولاية من ولايات مملكته عذارى جميلات المنظر. ثم كان يغتصب كل ليلة امرأة شابة، عذراء، ثم ينفّيها بعد ذلك إلى قسم حريمه المخصّص لـ«البضاعة المستعملة» – فلا تُرى بعد ذلك أبدًا، إلا إذا استُدعيت (أستير 2).

هكذا كان الرجل الذي أصدر هذا الأمر. وثنيّ، ومغتصب متسلسل، ومجرم جنسي بغيض – إنه الشخص الوحيد في الكتاب المقدس الذي يأمر الرجال بأن يمارسوا السلطة على النساء.

لا يكاد يمكن تصوّر إشارة تحذير أوضح من هذه.

إن إساءته الدنيئة لاستعمال السلطة الذكورية تأكيد قاتم لتحذير الله في التكوين 3: 16. فتسلّط الرجال على النساء هو نتيجة العصيان البشري. وليس وصية من الله للرجال.

لمزيد من الدراسة

For more on the traditional majority view of women's inferiority, and its rejection, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapter 2.

For more on the complementarian concept of "roles", see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapter 7.

For more on Genesis 2 and 3, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapters 5 and 6.

For more on women in the Old Testament, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapters 7 and 8.

For more on Jesus, the Twelve, and the Gospels, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapters 3 and 4.

For more on 1 Corinthians 7, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapter 9.

For more on Ephesians 5, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapters 10 and 11.

For more on 1 Peter, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapter 12.

For more on the New Testament ministries of women, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapters 13 to 17

For more on 1 Corinthians 11:2–16, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapters 18 to 20

For more on 1 Corinthians 14:34–35, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapters 21 and 22

For more on 1 Timothy 2, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapters 23 to 29

For more on elders' qualifications in 1 Timothy 3 and in Titus 1, see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapter 30

If you are concerned about the impact of culture on interpreting the Bible, and about "slippery slopes" (where one change of view leads to another), see True Complementarity: The way of Christ for men and women (Apollos, 2026), chapter 31

للتواصل

يُرجى إرسال أسئلتكم أو ملاحظاتكم إلينا عبر نموذج التواصل.

الحواشي

1. بشأن غياب التفسير انظر 200–2: Hurley, Man and Woman in Biblical Perspective, 1981: 200–2; Moo) 180–1: Manhood and Womanhood, 1991: 140; Knight, The Pastoral Epistles 1992: 140; Blomberg, Two: Grudem, Evangelical Feminism and Biblical Truth 2004: 65–9, 299–302; Epistles 2000: 120–3; Köstenberger; Sandom, «Different by Design» 2012: 154–60; Views on Women in Ministry 2005: 168; Köstenberger, «God's Design for Man and Woman» 2014: 205–12; Köstenberger) (Schreiner), 188–90: Smith, God's Good Design 2019: 2; Grudem, Systematic Theology; الطبعة 3: 155–61; Kuruvilla, 1 and 2 Timothy, DeYoung, Men and Women in the Church 2021: 79–80; 1161, 1152: 2020; Titus 2021: 4.2.1–2. أما ياربرو (Yarbrough) 175: 2018 (The Letters to Timothy and Titus) فلا يتناول الصعوبة مباشرة، لكنه يقول إن الفكرة الموجهة لبولس «طريقة لبقة لتذكير تيموثاوس بتقسيم العمل الذي كان ساريًا في عبادة الكنيسة». غير أن هذا غير مقنع. فلو كانت الممارسة المعتادة لبولس أن يمنع النساء من التعليم، لما كان من اللباقة أن يذكر تيموثاوس بذلك. وللمقارنة: كانت ممارسته المعتادة أن يدين الفجور الجنسي، لكن لا يمكن أن نتخيل جادّين أنه سيكتب إلى تيموثاوس من باب اللباقة: «لا أسمح بالفجور الجنسي». وفضلاً عن ذلك تظهر لباقة بولس في هذه الرسالة في أنه لا يذكر بالاسم النساء الغنيّات المسيّئات في سلوكهن، في حين أنه مباشر إلى حدّ بعيد مع تيموثاوس على امتداد الرسالة (انظر 1: 3؛ 19–18؛ 3؛ 15؛ 4؛ 6؛ 7؛ 11–16؛ 5؛ 1؛ 23–21؛ 6؛ 2؛ 11–14؛ 20–21).

في الحاشية 309 يذكر ياربرو موضعين تُستعمل فيهما كلمة «يسمح»، وهما يؤكّدان الصعوبة: (1) في 1 كورنثوس 14: 34 عبارة «ليس مأذوناً» صيغة مبنية للمجهول بضمير الغائب، وهي مناسبة جيداً لعرض قاعدة عامة وضعتها سلطة مختصة، بخلاف «لا أسمح»؛ (2) في 1 كورنثوس 16: 7 يقول بولس إنه يرجو أن يزور أهل كورنثوس في وقت ما «إن أذن الرب» – وهذا ما قد يفعله الرب في وقت معيّن ولا يفعله في وقت آخر. لقد تناولت هذه المشكلة المتعلقة بعبارة «لا أسمح» في Bartlett 2019: 220 Men and Women in Christ: Fresh Light from the Biblical Texts. وعلى حدّ علمي لم يقدم أي مراجع ذو توجه تكاملي تناول كتابي جواباً عن ذلك. قد يُشير بعضهم إلى كلام الفريسيين في مرقس 10: 4 («موسى أذن أن يُكتب كتاب طلاق») وكلام يسوع في متى 19: 8 («إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا»). وهذه الإشارة تتعلق بمفعول الحكم الوارد في الشريعة الموسوية في التثنية 24: 1–4، الذي منع الرجل الذي طلق امرأته من أن يتزوجها مرة أخرى لاحقاً؛ وكان هذا يتضمّن أن الطلاق كان مُحتملاً، ويسوع يشرح لماذا كان الأمر كذلك. لكن «موسى» هنا تعبير مختصر يعني «شريعة موسى»، وهذه النصوص لا تستعمل صيغة المتكلم («أنا أسمح»). بل إن الشريعة الموسوية لا تقول في أي موضع «أنا أسمح» أو «لا أسمح»، ويسوع نفسه لا يستعمل أبداً مثل هذا التعبير حين يعرض قاعدة سلوك.